

رَبَائِعُ

الإمام البخاري

لِلأستاذ
يوسف الكتاني

علو الاسناد طريق مرغوب فيها عند المحدثين ولذا كان السلف يتزاحمون ويتسابقون على نهجه وسبيلهم الى ذلك كثرة الرحلة والسفر طلبا للسند العالي لانه يحقق الغرض من الرواية .

وقد اكثر الامام البخاري الترحال الى الامصار والاقاليم واطال السفر الى الحواضر الاسلامية طلبا لعالي الاسناد ورغبة فيه وتحقيقا للمقصد الاسمي منه . قال الحافظ المزي : (1)

و « اكثر الحاكم من عد شيوخه (اي البخاري) وذكر البلاد الذي دخلها ثم قال : وانما سميت من كل ناحية جماعة من المتقدمين ليستدل على عالى اسناده ، فان مسلم بن الحجاج لم يدرك احدا ممن سميتهم الا اهل نيسابور » .

ولذلك اجهد الامام البخاري نفسه وكان يقطع المراحل ويقصد الاقاليم مهما نادت من اجل رواية حديث واحد او حديثين طلبا لسند عال قل رواته ورجاله وكان

شديد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم (2)، واذا كان للامام البخاري فضل الريادة في علم الحديث باعتباره اول من صنف الحديث واول من صنف صحيح الحديث مجردا حتى اعتبر كتابه الصحيح اصح كتاب بعد كتاب الله ولقب بأمر المؤمنين في الحديث (3) واعتبر مسلم « استاذ الاستاذين وطبيب الحديث في علله » ، كما اعتبر الترمذي الامام البخاري اعلم اهل عصره بمعرفة الاسانيد والعلل والتاريخ قال :

« لم ار بالعراق ولا بخراسان في معرفة العلل والتاريخ ومعرفة الاسانيد اعلم من محمد بن اسماعيل البخاري » .

لذلك جاء كتابه (الجامع الصحيح) نموذجا لكتب الحديث منذ الف في الصحيح وظل من اجل ذلك قبلة العلماء والمحدثين سواء في طريقته او الاسلوب الذي نهجه البخاري في جمعه وتأليفه وانتقاء الحديث الصحيح خاصة وانه خرج جامعه من ستمائة الف حديث مما صح عنده على شروطه وهو ما لم يتعد سبعة آلاف حديث

(1) طبقات الشافعية للسبكي ج 2 ص 2 .

(2) قواعد التحديث ص 108 علوم الحديث صبحي الصالح ص 236 .

(3) حياة البخاري للشيخ جمال الدين القاسمي ص 11 .

(2) رباعيات البخارى فى المتن او المتون الرباعية .

(3) رباعيات البخارى فى وصيته .

رباعيات البخارى فى السند :

المقصود برباعيات الامام البخارى فى السند اى فى رواية الحديث او ما نسميه الاسانيد الرباعية ، هى الاحاديث التى تكون اسانيدھا رباعية اى ان يكون بين البخارى اى قوله وبين حديث النبى صلى الله عليه وسلم اربعة رواة .

وذلك بأن يروى الحديث اربعة من الصحابة او التابعين بعضهم عن بعض فى سند لمتن واحد .

مثاله « حديث الزهرى عن السائب بن يزيد »
(1) عن حبيب بن عبد العزى (2) عن عبد الله بن السعدى (3) عن عمر بن الخطاب (4) مرفوعا . . ما جاء الله به من هذا المال من غير اسراف فخذة ومالا فلا تتبعه نفسك » .

وكحديث البخارى (1) فى « كتاب الايمان » من باب « دعاؤكم ايمانكم » :

حدثنا عبيد الله بن موسى (1) قال : اخبرنا حفظة بن ابي سفيان (2) عن عكرمة بن خالد (3) عن ابن عمر (4) رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بنى الاسلام على خمس ، شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان » .

فهذان الحديثان الواردان فى صحيح الامام البخارى رواهما اربعة رجال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون بين البخارى وبين النبى صلى الله عليه وسلم اربعة رواة .

واذا كان اطول اسانيد البخارى التساعيات فان اعلى ما للبخارى فى صحيحه الثلاثيات كما ذكر محمد ابن عبد الرحمن الكزبرى (6) .

ونيف مما ورد فى كتابه الصحيح ثم طول اناته فى مدة تأليفه وبحته الطويل الذى استمر ستة عشر عاما ، وفى طريقة اخذه للحديث وروايته عن الشيوخ الذين بلغوا ألفا وثمانين نفسا ثم الى تعدد الامصار والاقاليم التى رحل اليها وقصدها من اجل رواية الحديث فانه لم يكتب فى الجامع كل ما سمعه او رواه ، كما لم يصح عنده كل ما تلقاه من الشيوخ بل كان يعمل عقله ونهجه وطريقته فيما يأخذ ويروى ويتثبت ويتحرى قبل ان يكتب فى الصحيح (4) ومن حيث طريقته فى التحديث امتاز البخارى بالبحث الدقيق عن الرواة الذين يأخذ عنهم ويسمع منهم وذلك من اجل معرفة منازعهم الفكرية واهوائهم السياسية وسيرتهم الخلقية .

كما كان يهتم اهتماما بالغا بالبحث عن كيفية اتصال الراوى بشيخه فى الحديث والبحث عن متن الحديث وهل هو موافق للسنة وما رواه الثقة مما جعل طريقة البحث عند البخارى والوسائل التى اتبعها والمنهج الذى التزمه منهجا علميا ومقياسا دقيقا لم يسبق اليه ولم يلحق فيه وحتى كان ابو الحسن المقدسى يقول فى الرجل الذى يخرج عنه البخارى فى الصحيح « هذا جاز القنطرة » (5) .

من اجل ذلك كله لا يوجد كتاب فى الاسلام بعد كتاب الله العزيز اهتم به المسلمون اهتمامهم بالجامع الصحيح حفظا ودراسة وتعليقا وشرحا واستدراكا وترجمة الى غير ذلك من مظاهر العناية بكتاب الصحيح .

وقد آثرت ان اشارك العلماء واهل الحديث اهتمامهم وعنايتهم بكتاب الجامع الصحيح وادلى بدلوى فيه واربط نشاطى بنشاطهم وبحثى ببحثهم فى مجال اكتشاف اوجه عبقرية هذا الرائد العظيم فى كتابه الخالد الجامع واخترت ان ادرس موضوعا يتعلق برجال اسناده كما يتعلق بمتون احاديثه سواء فى اسانيد الرباعية او متونه الرباعية وهو موضوع مبتكر جديد ندر من ألف فيه او بحث عنه من المحدثين والعلماء وقد قسمت هذا البحث الى ثلاثة اقسام :

(1) رباعيات البخارى فى السند اى فى رواية الحديث او الاسانيد الرباعية .

(4) طبقات الشافعية ج 2 ص 7 .

(5) الامام البخارى محدثا وفقهيا للدكتور الحسينى ص 14 .

(6) فتح البارى لابن حجر .

أما ثلاثيات البخارى فقد درسها أهل الحديث واهتموا بها والفوا فيها وجمعوها وأشهر من قام بذلك الحافظ ابن حجر .

وعننا المحدث عبد الحى الكتانى والملا ابراهيم الكورانى وغيرهم من المحدثين .

أما رباعيات البخارى فى الجامع الصحيح فلا نجد من اهتم بها أو ألف فيها أو جمعها إلا النادر القليل على عكس الأمر فى الثلاثيات وقد ذكر حافظ المغرب محمد بن جعفر الكتانى فى الرسالة المستطرفة (7) أن لابی عبد الله البخارى رباعيات وقد شرحها (بعضهم) فى كتاب سماه « درر الدرارى فى شرح رباعيات البخارى » ولم يذكر مؤلفه بل عبر عنه وقد شرحها بعضهم بينما نجد حاجى خليفة فى « كشف الظنون » (8) ذكر الكتاب نفسه وسماه « درر الدرارى فى شرح رباعيات البخارى » أو « الدرر الدرارى » وسمى مؤلفه وهو أحمد بن محمد الشافعى الشافعى .

وقد أورد صاحب كشف الظنون بأن أولها هو :
« الحمد لله الذى نزل أحسن الحديث ،
استخرجها من الجامع الصحيح مستمداً من شرح
الكرمانى وتنقيح الزركشى مع زيادات » .

كما ذكر صاحب كشف الظنون رباعيات أخرى غير هذا الكتاب ولكنها لا تتعلق بكتاب الجامع الصحيح .

كما نجد كتاباً آخر فى رباعيات البخارى جاء فى « فهرس الفهارس » (9) وهو كتاب « جناح الجناح بالعوالى الصحاح » ويسمى أيضاً « لواعع الآلى فى الاربعين العوالى » (10) للبرهان ابراهيم الكورانى المدنى المجدد على رأس المائة الحادية عشرة للهجرة .

« وقد خرج الكورانى فى جناح الجناح اربعين حديثاً من العوالى الصحاح وقدمها بمقدمات فى شرف

اصحاب الحديث وطرق حديث من حفظ على امتن اربعين حديثاً ثم اتى بالعشاريات السيوطية بإسناده الموصول الى السيوطى ، ثم ترجمة البخارى وتفریع أسانيده اليه من طريق أبى ذر والمعمرين وغيرهم ثم ساق حديثاً من رباعيات البخارى ، ثم اتى بخاتمة اشتملت على تنبيهات ساق فيها ثلاثيات البخارى ثم اتى بعشرين حديثاً مسلسلاً بالصوفية وهو فى نحو ثلاث كرايس مفيد جداً لطالب هذا الشأن أنه سنة 1083 « (11) » .

وقد ذكر عننا سيدى عبد الحى الكتانى أن بمكتبه نسخة من هذا الكتاب المخطوط اخذت من النسخة التى أرسلها المؤلف هدية الى الشيخين عبد الرحمان ومحمد ابنى عبد القادر الفاسى الا اننى لما بحثت عنها بين كتبه بالمكتبة العامة لم اعثر لها على اثر للأسف الشديد .

ونجد للبخارى أيضاً نوعاً من الرباعيات فى رواية الحديث ملحقاً بالثلاثيات (12) وهى حديثان فقط :

وذلك أن يروى الحديث تابعى عن تابعى عن الصحابى أو صحابى عن صحابى فيحسب التابعيان أو الصحابيَّان فى درجة واحدة فهما اثنان فى حكم الواحد فلذا كان منهم راو أخذ عنه المؤلف يقال فيه رباعى فى حكم الثلاثى ، وهذا السند يكون مشتملاً على أربعة رجال منهم صحابيَّان أو تابعيان فيكون من حيث العدد رباعياً ومن حيث النوع ملحقاً بالثلاثى ولا نجد غير هذين الكتابين المذكورين أنفاً فيما يتعلق برباعيات البخارى من حيث السند أى كتاب آخر يتعلق بها أو يهتم بها على أن الكتابين المذكورين نفسيهما لم نعر على أى واحد منهما بمكتباتنا العامة أو الخاصة بعد طول التتبع والتنقيب .

هذا وقد تصدیت بالبحث والاستقصاء والتتبع والدراسة الجامع الصحيح كى أجرد رباعيات البخارى من حيث الرواية وقيمت جمعها كى يكون لى فضل جمعها

(7) الرسالة المستطرفة ص 98 .

(8) كشف الظنون لحاجى خليفة ج 1 ص 832 .

(9) فهرس الفهارس للشيخ عبد الحى الكتانى ج 1 ص 229 و 368 و 372 .

(10) أصلى مساند على الرحمان فى اعلى أسانيد على بن سليمان للبرموىى الدمناتى ص 20 .

(11) فهرس الفهارس ج 1 ص 229 و 230 .

(12) الرسالة المستطرفة ص 98 و 99 .

ونشرها واستخراجها والتصنيف فيها ، لذا اطلت قراءة البخارى ودراسته وتكررت تلك القراءة والمراجعة ، وكلما أعدت القراءة والمراجعة اكتشفت رباعية جديدة ولذلك رجعت الى نسخ كثيرة من الجامع الصحيح قديمها وحديثها فى اثناء دراستى الطويلة للجامع ، غير اننى اعتمدت فى تجريد الرباعيات وتخرجها على شرح

الكرمانى لصحيح البخارى وهم المسمى « الكواكب الدرارى فى شرح صحيح البخارى » .

الطبعة الاولى منه بمصر سنة 1351 وذلك لكونها مضبوطة ومشكولة ولكونها اسهل عن غيرها من حيث البحث والقراءة والدرس والاستقصاء .

